ذلك أن « فوللر » قد اقتصر من الرؤية الرومانسية على تلك المنطقة السالبة التى لاتكاد تتجاوز دور الكسالى والمخمورين واللامسئولين من أبناء المجتمع ، ومع هذا فهو يميز بشكل واقعى بين المعالم البارزة لكل من قوي الخير والشر فى حياة المجتمع وواقعه . ومن ثم بدا واقعي الرؤية فى أكثر من موقف ، ابتداء من تحديده لمقاييس التعادل فى الواقع موزعة بين نسب الخير ونسب الشر ، لتوضع جميعها فى ميزان شديد الحساسية ، يلتقط منه كل فنان بقدر ، فيصور ما شاءت له قدرته الإبداعية من ناحية ، ومنطقه فى الاختيار من شرائح الواقع التى استوقفته من ناحية أخرى .

ويبدو هذا التصور وقد دفع بالنقاد إلى إصدار هذه الأحكام على التيار السالب في ظلال الرومانسية ، كما طرح نظيراً له على الوجوديين ومن تأثر بهم ممن راحوا يمارسون الوجودية - على حد تعبيره أيضا - دون وعى ولا لغة مفهومة . فهم يصورون حرمان الإنسان وانحطاطه دون تعليق .

ومن هنا راح «فوللر » يكثف تصوُّره حول الأبعاد الحقيقية للأدب الحى ، ويضع شروطه ومقوماته فى شكل دقيق بدا فيه محكوما بمنطقَيْ الخير والشر معًا إذ يقول أيضا «لن يكون هناك أدب حى إن أنت تجاهلت الشر أو نأيت بنفسك عنه ، إذ سيكون لك أدب متكلف الفضيلة فى عالم مفرط التفاؤل[1] . ومن ثم راح الناقد يأخذ موقفا عنيفا من أحادية النظرة إلى عالم الشر ، أو محاولة التغافل عما فى العالم من رؤى الخير معها جنبا إلى جنب فيقول مصدرا حكمه على بعض الأدباء الذين اقتصروا من فنونهم على معالجة منطق الشر « إن بعض الأدباء أضاعوا رؤى الخير ، وكأنهم يثبتون أبصارهم على الفوضى ، كما لو كانوا يرونها واقع الحياة الوحيد أو الكلى »[2] .

وإذا بتلك الرؤية تستوقفه من خلال منطق نقدى طريف يحللُ فيه ما ينفر منه من هذه الصور التى لاتكاد تنطلق إلا من الشر ، وكأنه المصدر الوحيد للإبداع مما يذكرنا- على وجه السرعة - بتلك المقولة النقدية القديمة لدينا من لدُن الأصمعى حين انتهى إلى أن الشعر « نكد لا ينبت إلا فى الشر فإذا دخل باب الخير ضعُف ولان » ومن خلالها راح الأصمعي ومن سار

---

(١) خمسة مداخل ٧١ .

(٢) نفسه .